﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ٩٦﴾

[المؤمنون: 96]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الوعيد بالعذاب الدّنيويّ من الأمارات المُؤكِّدة لطلاقة القُدْرة

لمّا أشارت الآياتُ السّابقة إلى قدرة الله تباركت آلاؤه على إنْجازِ ما توعَّدَ به الكافرين من العذاب الأليم في حياة النّبيّ ﷺ؛ لاحَ من هذا أنَّ أخْذَهم وتأْخيرَهم في الإمكانِ على حَدٍّ سَواءٍ؛ ولكنّ هؤلاء المُكذّبين المُعاندين كانوا يَقولونَ ويَفْعَلونَ ما لا صَبْرَ للنّبيّ ﷺ عليه إلّا بِمَعونَةٍ مِنَ الله؛ فكأنَّهُ ﷺ قالَ: فماذا أفْعَلُ فيما تَعْلَمُ من أمرِهم؟ فأرشدَه ربُّه جلَّ اسمُه أن يُقابِلَ السّيّئَةَ من الأفعال والأقوال بالصَّفح والمُداراة[1]، وقيل: إنّ الآيات السّابقة لمّا أشارت إلى ضمان النَّصْر على الكافرين، أعْقَبتْ ذَلِكَ بإرشاد النّبيّ ﷺ بأنْ يَدْفَعَ مُكَذِّبيهِ بالَّتي هي أحْسَنُ، وألّا يَضيقَ بِتَكْذيبهم صَدْرُهُ؛ فلِذَلِكَ دَفَعَ السَّيِّئَةَ بالحَسَنَةِ كَما هو أدَبُ الإسْلامِ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱدۡفَعۡ﴾: (دفع) أَصْلٌ واحِدٌ مَشْهورٌ يَدُلُّ على تَنْحيَةِ الشَّيْءِ، يُقالُ: دَفَعْتُ الشَّيْءَ أَدْفَعُهُ دَفْعًا، ودافَعَ اللهُ عَنْهُ السّوءَ دِفاعًا، والدَّفْع: الإزالة بِقوَّةٍ، وتدافَعوا الشّيءَ: دَفَعَه كُلُّ واحِدٍ منهم عن صاحبِه، وتدافَع القومُ؛ أَيْ: دفَع بعضُهم بَعْضًا، والدَّفْعُ إذا عُدّي بـ(إلى) اقتضى معنى الإنالة؛ نحو قوله تعالى: ﴿فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ﴾ [النّساء: 6]، وإذا عدّي بـ(عن)؛ اقتضى معنى الحماية؛ نحو قوله: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ﴾ [الحَجّ: 38]، ودَفَعَ السّيّئَةَ: رَدَّها، وقوله: ﴿ٱدۡفَعۡ

(1) البقاعيّ، نَظْم الدّرر: 13/ 183.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 119.

﴿بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ﴾ [المؤمنون: 96] صورةٌ معنويَّةٌ من الصَّدِّ والرَّدِّ؛ فإنّ الكلام الحَسَنَ، والتّصرّف الحَسَنَ في مواجهة الإساءة إذا كانت من نوع الشَّتم غالبًا ما تكسر شِرّة الشّاتم، فيراجع نفسَه وينكشِفُ له عيبُ نفسِه[1].

2) ﴿ٱلسَّيِّئَةَۚ﴾: من ساءَهُ يَسوءُه سَوْءًا وسوءًا: فعَلَ به ما يَكْرَهُ، نَقيضُ سَرَّه، والاِسْمُ: السّوءُ بالضّمّ؛ وهو كلّ ما يَغمّ الإنسان من الأمور الدّنيويّة والأُخرويّة، ومنَ الأحوال النّفسيّة والبدنيّة والخارجة؛ من فوات مالٍ وجاهٍ وفَقْدِ حميم، وأَساءَ الرَّجلُ إساءَةً: خِلافُ أَحسَن، وأَساءَ إِلَيْهِ: نَقيضُ أَحْسَن إِلَيْهِ، والسَّيِّئَةُ: الخَطيئةُ، والسَّيِّئُ والسَّيِّئَةُ: عَمَلانِ قَبيحانِ، يَصيرُ السَيِّئُ نَعْتًا لِلذَّكَرِ من الأَعمالِ، والسَّيِّئَةُ الأُنثى، والحسنة والسّيّئة ضربان؛ أحدهما: بحسب اعتبار العقل والشّرع؛ نحو قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا﴾ [الأنعام: 160]، وثانيهما: بحسب اعتبار الطّبع، وذلك ما يستخفّه الطّبعُ وما يستثقله؛ نحو قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ﴾ [الأعراف: 131]، والمعنى المحوريُّ لمادة (سوأ): عيبٌ أو نقص (قبح أو فساد أو مرض) يخالط ظاهر الشّيء أو باطنَه، ثمّ ينتقل السّوءُ إلى القبح المعنويّ كالسّيّئة، وهي الذّنب والخطيئة[2]، والمُراد بها هاهنا: ما يقوم به أولئك المُكذّبون المُعاندون من أفعالٍ قبيحةٍ وأقوالٍ مردودةٍ في حقّ النّبيّ ﷺ والمؤمنين.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بيّن الله تعالى لنبيّه أنّه في سبيل تبليغ دعوته عليه ألّا يدفع

دفعُ السّيّئةِ بالحسنة من هدي الإسلام الرّشيد وأدبِه البليغ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المُفردات، وابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (دفع).
(2) الرّاغب، المُفردات، وابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (دفع).

السَّيّئة بسيّئة مثلِها؛ بل يأخذُهم بالصّفح والتّجاوز عن الإساءة في سبيل دعوة الحقّ والإيمان، وأحسنُ الرُّدودِ ما كان رَدًّا مُدْنيًا مُقَرِّبًا، وليس جافيًا مُبْعِدًا؛ وذلك بأن يَتَخيّرَ خيرَ ما يدفع به سَفَهَ القولِ وحُمقَ الفِعال من سخريةٍ واستهزاءٍ وتَهَكُّم بدعوته وبالذين معه؛ مِن ذِكْرِهم بالسّوء وإيذائِهم وتعذيبهم، إذ إنّ رَدّ الإساءة بالأمر الحَسَن فضيلةُ ذوي السّلامة من الرّجال الصّابرين، وإنّا نحن نعلم عِلْمًا ليس فوقَه عِلْمٌ بالأوصاف التي يصفونك بها أنتَ وأصحابك؛ فلا تحملكَ هذه الأوصافُ على أن تُعامِلَهم بمثلها، فإنّك جئتَ هاديًا داعيًا إلى الحَقّ ومُرشدًا، وما جئتَ مُجافيًا ولا مُعاديًا، وبالرّفق تُدْنيهم، وبالجَفْوة والغِلْظَة تُقْصيهم؛ فألِّفْهُم، ولا تخاصمهم، وأحمقُ الدّعاة مَن يوجِدُ خصومةً بينَه وبينَ مَن يدعوهم؛ فتثور أعصابُهم لتُقاوِمَ دعوتَه[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

غرضُ التّعبير بفعل الأمر ﴿ٱدۡفَعۡ﴾:

الإرشادُ لكمال الخُلُقِ القويمِ من تمام عناية الله برسوله ﷺ وأُمّته

دلَّ استخدامُ فعلِ الأمر ﴿ٱدۡفَعۡ﴾ على الإرشاد والتّوجيه والنّصح؛ ففيه إشارةٌ إلى كمال رعاية اللّه لنبيّه ﷺ، ورحمته به وبأُمّته؛ فقد عَلّمه كيف يُبلّغ رسالةَ ربِّه على أحسن وجهٍ دونَ أن يُعَرقلَه عن أدائها سوءُ أخلاقِ المَدعوّين إليها، وسُخفُ افتراءاتِهم وتُرّهاتِهم.

غرض تقديم المجرور على ﴿ٱلسَّيِّئَةَۚ﴾:

العنايةُ الرّبانيّة بسُبُل الدّعوة من آكَدِ معالمِ الإسلام

جاء النّظمُ الحكيم بتقديم الجارّ والمجرور وجملةِ الصّلة ﴿بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ على المفعول به ﴿ٱلسَّيِّئَةَۚ﴾، وكان مقتضى الظّاهر أن يُقال: (ادفع السّيئةَ بالتي هي أحسن)، والغرضُ من هذا التّقديم والتّأخير: الاهتمامُ بالمُتَقدِّم وهو ﴿بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ على المتأخِّر وهو ﴿ٱلسَّيِّئَةَۚ﴾، وفي ذلك إرشادٌ للنّبيّ ﷺ ولأُمّته أن تكون الحُسنى

(1) الشّوكانيّ، فتح القدير: 3/ 675، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5116.

هي مَحَطّ أنظارِهم ومِحْور تصرفاتِهم، فمهما بالغ السّفهاءُ والكفّارُ والمعاندون في أكاذيبهم وافتراءاتهم؛ فإنّه ينبغي للمؤمن الذي تحَلّى بصفات الكمال الأخلاقيّ أن يكون دَيْدَنَهُ الصّبرُ الجميلُ وردُّ الإساءةِ بالإحسان، بشرط ألّا يُؤَدّي إلى وهنٍ في الدّين[1].

غرض التّعبير بالموصول:

من معالم آداب النّبوّة تمامُ المعرفةِ بأحوال المَدعوّين

آثرَ النّظمُ الجليلُ التّعبيرَ بالاسم الموصول وجملة الصّلة ﴿بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾؛ وذلك لتفخيم فعلِ الأمر بالاسم الموصول، لما فيه من الإبهام المُشوِّقِ للبيان؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: 9][2]؛ ففي إبهام الموصول ما يُتيح الفُرصةَ للتّشوُّف والتّرقُّب لما سيأتي بعده، وفي استخدام الموصول حذفٌ تقديره: (الخصلة)[3]، أو غيرُها من المُفردات المُلائمة للسّياق، كالسِّمة والوصف والسّجيّة وغيرِها، وفي هذا الحذف دلالةٌ على العموم، كما حمل التّعبيرُ بالاسم الموصول هاهنا دلالةَ الثّناء والمدح لهذا الخُلق القويم وترسيخه في نفس النّبيّ ﷺ.

وكذلك من أسرار التّعبير بالموصول أنّه جاءَ في صِلَةِ (الَّتي)؛ ليَدُلَّ عَلى مَعْرِفَةِ السّامِعِ بِالحالَةِ الَّتي هي أَحْسَنُ[4]، وفيه إرشادٌ لمقام النّبيّ ﷺ، وما تولّاه اللّهُ به من الرّعاية والإحسان حتّى بلغ الدّرجاتِ العظيمة مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: 4].

غرضُ التّعبير بجملة الصّلة اسميّةً:

الإحسانُ سجيّةٌ ثابتةٌ دائمةٌ للنّبيّ ﷺ لا تُفارقه

عبّر النّظمُ الحكيمُ بجملة الصّلة اسميّةً في قوله تعالى: ﴿هِىَ أَحْسَنُ﴾؛ للدّلالة على الثّبات والدّوام؛ فالجُملَةُ الاسميّةُ مَوْضوعَةٌ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 149.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 183.
(3) الخطيب، التّفصيل: 18/ 118.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 583.

للإخبار بثُبوت المُسنَد للمُسنَد إليْهِ بلا دلالَة على تجدُّدٍ أَوِ اسْتِمرار، وإذا كانَ خَبَرُها اسْمًا فقد يُقْصَد به الدَّوامُ والاستمرارُ الثّبوتيُّ بمعونة القَرائِن، وإذا كانَ خَبَرُها مُضارعًا فقد يُفيد استمرارًا تجدُّديًّا، إذا لم يوجد داعٍ إلى الدَّوام[1]، فكأنّ دفعَ السّيّئةِ بالحسنة صار سجيّةً وعادةً للنّبيّ ﷺ لا تُفارقُه، وفيه من بالغ العناية بالنّبيّ ﷺ ما تَقَرّ به عينُه في مواجهة الكفّار وأكاذيبهم وافتراءاتهم.

دلالة التّعبير بخبر المبتدأ (أفعل) تفضيل:

خُـلُـقُ الـنّـبـيّ ﷺ جـديـرٌ بأقصى درجات الإحسان

في قوله تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ﴾ جاء بصيغة التفضيل ﴿أَحۡسَنُ﴾، والمعنى: (ادفَعِ السَّيِّئَةَ بما أمكَنَ من أعلى مقامات الإحسانِ من كريم الأقْوالِ وصحيحِ الأفْعالِ، حتَّى إذا اجتمَعَ الصَّفحُ والإحسانُ وبَذْلُ الاستِطاعةِ فيه؛ كانت حَسنةً مُضاعَفةً بإزاءِ سَيِّئَةٍ)، والنّظمُ على هذا الوجه أَبْلَغُ من (ادْفَعْ بِالحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ) لِمَكانِ ﴿أَحۡسَنُ﴾، والمُفاضَلَةُ فيهِ على حَقيقَتِها، وهو وجْهٌ حَسَنٌ في الآيَةِ، وجوِّزَ أنْ تُعْتَبَرَ المُفاضَلَةُ بين الحسنةِ والسَّيِّئَةِ على مَعْنى أنَّ الحَسَنَةَ في بابِ الحَسَناتِ، أَزْيَدُ به مِنَ السَّيِّئَةِ في بابِ السَّيِّئاتِ[2]، وفي ذلك بلوغٌ بأخلاق النّبيّ الكريم ﷺ أقصى درجات الإحسان؛ فليس هناك مَن هو أولى منه ببلوغِ هذه الذّروةِ الشّاهقة في مجال الأخلاق[3].

موقع جملة ﴿نَحۡنُ أَعۡلَمُ﴾ ودلالتُه:

تسليَةُ اللهِ ﷻ لنبيّه ﷺ وتخفيفُه وقعَ إفكِ الكافرين عليه

قولُه تعالى: ﴿نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾، هذه الجملة استئنافيّةٌ مُقَرّرةٌ لمضمون ما تقدّم من علامات الهداية والإرشاد والتّوجيه؛ ليُخَفِّفَ عن النّبيّ ﷺ ما يجده في نفسه الكريمة من آثار تكذيبهم وافترائهم عليه بغير الحَقّ، ما يَجِدُ من ثِقَلِها بِقَوْلِهِ: ﴿نَحۡنُ أَعۡلَمُ﴾؛

(1) الكفويّ، الكلّيّات، ص: 341.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 18/ 136.
(3) الماورديّ، النّكت والعيون: 4/ 66، والآلوسيّ، روح المعاني: 18/ 136.

أيْ: أعلم من كُلِّ عالمٍ ﴿بِمَا يَصِفُونَ﴾ في حَقِّكَ وحَقِّنا[1]، وهي كِنايةٌ عن كَونِ اللهِ يُعامِلُ أصحابَ الإساءةِ لرَسولِه بما هم أحِقّاءُ به من العِقابِ؛ لأنَّ الَّذي هو أعلَمُ بالأحوالِ يَجْري عمَلُه على مُناسِبِ تلك الأحوالِ بالعَدْلِ، وفي هذا تَطمينٌ لِنفْسِ الرَّسولِ ﷺ ووَعيدٌ لهم بالجَزاءِ والعُقوبةِ، وتَسليةٌ لرسولِ اللهِ ﷺ، وإرشادٌ لتَفويضِ أمرِه إليه تعالى[2].

بلاغة التّذييل ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾:

بالِغُ عِلْمِ الله في معرفة دواخل النّفوس

جملة ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ واقعةٌ موقعَ التّذييل؛ إذ معناها مغايرٌ لما سبق في الآية الكريمة، ومن فائدة وقوعها هذا الموقع: الإشارةُ إلى بالغ الأذى المُتحقِّق بسبب السّيّئة، وأنّ الله سبحانه أعلمُ بمَدى سوء وصفِهم وفِعالِهم؛ فجاءتِ الجملةُ بزيادةٍ جديدةٍ لم تتضمّنْها الجملةُ الأولى.

دلالة التّعبير بالمُسنَد إليه وهو ضمير التّعظيم:

توكيدُ تَفَرّدِ الله ﷻ بالعِلْمِ الحقيقيّ

بدأتِ الجملةُ الكريمة بضمير التّعظيم ﴿نَحْنُ﴾، وذلك تنويهًا بعَظَمة عِلْم الله ﷻ وإحاطته بكلّ شيء في السّماوات والأرض وقُدرته المُطلقة، وكلّها من صفات أفعاله ﷻ، ومن نَهْجِ القرآن الكريم وخصائصِه أنّ الحقّ تعالى حينما يتحدَّثُ عن ذاته؛ يتحدَّثُ بضمير المُفرد، وحينما يتحدّث عن فِعْله؛ يتحدّث بصيغة الجمع؛ وذلك لأنّ الفعل يحتاج إلى صفاتٍ مُتعدِّدَة وإمكاناتٍ شتَّى، يحتاج إلى إرادة تُريده وقدرةٍ على تنفيذه، وإمكاناتٍ وعِلْمٍ وحِكْمةٍ؛ لذا تتكاتف كلُّ صفات الحَقّ في الفعل؛ لذلك جاء الحديثُ عنه بصيغة الجمع[3]، ومن فوائده: إيناسُ قلبِ النّبيّ ﷺ، بأنّ الله ﷻ الموصوفَ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 183.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 149، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 119.
(3) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 15/ 9230.

بالعَظَمةِ والعِزّة والكبرياء أعلمُ العالمين بكَذِب هؤلاء وعِنادهم، فتطمئنُّ نفسُه، ويرتاح قلبُه بأنّ الله تعالى ناصرُه ومُؤيِّدُه ومُعينُه.

سِرّ التّعبير بالخبرِ اسمَ تفضيل:

إحاطةُ عِلْم الله تعالى بكَذب الكافرين وإفْكِهم

في قوله تعالى: ﴿أَعْلَمُ﴾ وجهان؛ الأوّل: أنّه (أفعل) تفضيل، والآخر: أنّه وصفٌ على وزن (أفعل)، فأمّا إن كان اسمَ تفضيل؛ فليست المفاضلة بين أصل عِلْم الله تعالى وعِلْم البشر، وإنّما هي من باب عِلْمه ﷻ بما خفيَ على خَلْقه، فهو سبحانه أعلمُ بدقائق الحاضر وخفايا الغيب، أو أنّه اسمُ تفضيل لم يَجْرِ على بابه، إذ لا مقارنةَ بين عِلْم الله تعالى وعِلْم غيره، وأمّا على الوجه الآخَر، فليس هو باسم للتّفضيل، وإنّما هو وصفٌ جاء على وزن (أفعل)، بمعنى: عليم أو عالم، ولعلّ الأنسبَ للسّياق هاهنا أن يكون ﴿أَعْلَمُ﴾ اسمَ تفضيلٍ لم يَجرِ على بابه، وذلك أنّ الكافرين من شِدّة عِنادهم وكَذِبهم يظنّون بظنّهمُ السّقيم، وفهمهمُ الكليل، أنّهم قادرون على إخفاء بعضِ كفرهم عن الله، أو أنّهم يعلمون من الأوصاف ما لا يعلمه الله؛ فكان التّعبير باسم التّفضيل أبلغَ في تقريع آذانهم، وتعنيف عقولهم عن هذا الظّنّ القاصر.

معنى الباء ودلالتُها في ﴿بِمَا﴾:

تأكيد نسبة العِلْم لله وقَصْره عليه دونَ غيره

الباء هنا للتّعدية، كالباء في قوله تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾ [الإسراء: 47]، فهي لِتَعْدِيَةِ اسْمِ التَّفْضيلِ إلى مُتَعَلِّقِه؛ لأنَّهُ قاصِرٌ عن التَّعْدِيَةِ إلى المَفْعولِ، واسْمُ التَّفْضيلِ المُشْتَقُّ من العِلْم ومن الجَهْلِ يُعَدّى بالباءِ، وفي سِوى ذَيْنِكَ يُعَدّى باللّام، يُقالُ: (هو أعْطى لِلدَّراهِمِ)، وقد أفاد استخدامُ الباء في قوله تعالى: ﴿بِمَا يَصِفُونَ﴾ نسبةَ العِلْم لله.

معنى (ما) ودلالتُها في ﴿بِمَا يَصِفُونَ﴾:

آثَرَ النّظمُ الحكيمُ استعمالَ (ما) لسعة دلالتها؛ فهي إمّا اسمُ

موصول؛ ومن ثَمّ فالمعنى: إحاطة عِلْم الله تعالى بكلّ الذي يصفونه به ويصفون به نبيّه، وإمّا مصدريّة؛ ومن ثَمّ فالمعنى: إحاطة عِلْم الله تعالى بكلّ ما يُطلقونه من أوصاف لا تليق بالأُلوهيّة والنّبوّة[1]، فأفاد التّقديران: شمولَ عِلْم الله تعالى لكلّ أكاذيبِهم وافتراءاتِهم، ولعلّ التّقدير بالمصدريّة أبلغُ من التّقدير بالاسم الموصول؛ ليُفيدَ كلّ وصفٍ أظهروه أو أبطنوه.

شـمـولُ عِـلْـمِ الـلـهِ لـكـلِّ وصـفٍ تَـخَـرّصَـه المعاندون

دلالة التّعبير بالمضارع ﴿يَصِفُونَ﴾:

آثَرَ النّظمُ الحكيم التّعبيرَ بالفعل المضارع ﴿يَصِفُونَ﴾؛ للدّلالة على إحاطة عِلْم الله ﷻ بكلّ وصفٍ أظهروه أو أبطنوه في الحال والاستقبال، كما هو محيط بها في الماضي، كما جاء هذا الاستعمالُ الدّقيق للفعل المضارع ﴿يَصِفُونَ﴾ إشارةً إلى أنّ إشراكَ الكفّار المعاندين لن يتوقّف عند زمنٍ بعينه طالما استمرّ الكُفّار المُعاندون في إفكهم وضلالهم.

إحـاطـةُ عِـلْـمِ الله بكلّ وصفٍ يُـنـافي الأُلـوهـيّة والـنّـبـوّة في الماضي والحاضر والمستقبل

دلالةُ إسناد الفعل ﴿يَصِفُونَ﴾:

عبّرَ النّظمُ الحكيمُ بالفعل المضارع ﴿يَصِفُونَ﴾ مُسنَدًا إلى واو الجماعة؛ للدّلالة على كثرة المُكذّبين والمعاندين، الذين يجابهون الدّعوة الإسلاميّة بكلّ ما يستطيعون من حيلٍ وأكاذيبَ، ولكنّ هذه الكثرة لن تُغنيَ عنهم من الله شيئًا؛ فهو سبحانه أعلمُ بهم منهم؛ فُرادى أو مُجتمعين؛ وذلك لأنّ عِلْمه سبحانه قد أحاط بكلّ شيء، وفي ذلك تسليةٌ لخاطر النّبيّ ﷺ بأنّ هؤلاء مهما تعاظم جمعُهم فإنّ الله محيطٌ بهم، وبما يُدَبّرونه ويُخَطّطونه له، فيَقْوَى عَزْمُه ﷺ على أداء رسالةِ ربّه.

كـثـرةُ المُعاندين والمُـكـذّبـين لا تَـحـول دونَ إحـاطـةِ الـلـهِ بافتراءاتِهم

غرض حذف مُتعلّق الفعل ﴿يَصِفُونَ﴾:

جاء ختام الآية بالفعل ﴿يَصِفُونَ﴾، فحُذِف المفعولُ به، إذِ الأصلُ:

إفـادةُ عـمـومِ عِـلْـمِ الـلـه ﷻ بكلّ أوصافِهم

(1) الخطيب، التّفصيل: 18/ 121.

(يصفوننا)؛ وذلك لإرادة العموم والدّلالة على إحاطة عِلْم اللّه تعالى بكلّ وصف، فلم تُحَدّد الآيةُ مناطًا مُعيَّنًا لأوصافهم، فشَمِلت كلّ مظاهرِ الشّرك والاستهزاء والسّخرية التي أشارت إليها الآياتُ السّابقة، وتتّسِعُ كذلك لتشملَ كلَّ ما لم يُذْكَر فيها، وإذا كان المحذوفُ هو كافُ الخطابِ المُرادُ بها النّبيُّ ﷺ؛ أي: بما يَصِفونَكَ؛ أيّ: مِمّا يَضيقُ به صَدْرُكَ؛ ففي ذَلِكَ تَعَهُّدٌ بِأَنَّهُ يُجازيهِم على ما يَعْلَمُ مِنهم، فرُبَّ أحدٍ يَبْدو مِنهُ السّوءُ يَنْطَوي ضَميرُهُ على بعض الخيْرِ؛ فقَدْ كانَ فيهِم مَن يَحْدُبُ عَلى النَّبيّ في نَفْسِهِ، ورُبَّ أحدٍ هو بِعَكْسِهِ كَما قالَ تَعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤﴾ [البقرة: 204][1].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 120.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والثلاثون،
سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 36 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-79-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 36 : المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-78-5
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8956803 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»